مجلة
الجنس اللطيف

السنة الاولى | العدد الخامس | نوفمبر سنة ١٩٠٨

المرأة هنا وهناك

المرأة المصرية قبل زمن العباسيين وقبل عهد الفواطم وما آلت اليه حالها بعد ذلك كانت المصرية ارقى حالاً واهنأ بالاً ثم انحصر هذا الهناء في القروية اما المدنية فقضي الزمان على هنائها وسرورها بالانزواء في سجن الجهل لإلزامها بالاحتجاب عن العيون لاسباب دينية ومدنية فاستعملت مواهبها في مكايدة الرجل والعمل على جر المنافع اليها بان كانت تترنح دائماً بقولها (قصقصي ريشه لئلا يطير) بدون ان تحول نظرها الى ما فيه سعادة العائلة التي صارت لها مدبرة كانها لم تكن للرجل معينة كما تقضي عليها وظيفتها وما ذلك الا لنقص تربيتها وعدم ادراكها مزايا الحيوة السعيدة ولم يخطر لها على بال ان الحرية انما هي تمتعها بحقوقها بدون ان تمس حقوق الآخرين. ولكن

اين من يرشدها الى هذا المبدأ ويحول افكارها الى ان الحرية لم تكن الخروج عن حد الاعتدال والسير وراء هوى النفس ما دامت منحصرة بين جدران البيوت كل ايام حياتها . اما اذا ارتقت مداركها بالعلم وثقف عقلها بالاداب فلا بد من ان تسير في طريق الكمال وتعمل على اجتذاب قلب زوجها اليها مهما كان شموساً بخلاف ما لو كانت جاهلة فانها تجر الكدر والشقاء الى عائلتها وهي تظن انها اتت عملاً محموداً

المرأة الحكيمة يمكنها ان تجذب اليها كل الخيرات ومقامها يرتفع بين بني عشيرتها كالعجوز التي جعلت الخليفة المأمون يعجب من مروءتها وكرم اخلاقها فانعم عليها بما تستحقه وذلك انه لما انتقض عامة الخوف وخصوصاً جماعة البشامرة (سكان جهة البحر الصغير) بسبب ظلم الولاة لهم وقاموا يحاربون الحكومة فلم يتمكن من اخضاعهم سوى المأمون لما جاء لمصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين وكان ينتقل من قرية الى اخرى حتى مر على قرية تدعى طاء النمل (طنامل الان) فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت له عجوز (كما يقول المقريزي) تدعى مارية القبطية (وهي بخلاف مارية القبطية التي بعث بها المقوقس الى نبي المسلمين فاولدها ابراهيم) صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون متظلمة فوقف لها وكان لا يمشي ابداً الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت امير المؤمنين نزل في كل ضيعة وتجاوز ضيعتي والقبط تعايرني بذلك وانا اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولا يشمت بي الاعداء وبكت بكاء شديداً فرق لها المأمون وثنى

عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة فأخبر فأحضر جميع ذلك بزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي احمد بن داود ثم احضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ثم احضرت الى المأمون من فاخر الطعام شيئاً كثيراً حتى انه استعظم ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس ذهب فاستحسن ذلك وامرها باعادته فقالت له والله لا افعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب مما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت ياأمير المؤمنين لاتحتقر بنا وتكسر قلوبنا فقال ان بعض ماصنعته كفاية فردي مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين: هذا (واشارت الى الذهب) من هذا (واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض) ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به فأخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريتها طاء النمل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجباً من كبر مروءتها وسعة حالها » . اهـ

فهذه المرأة الحكيمة قد جرت المنافع الى بيتها وعائلتها بعملها الرشيد فاكتسبت وارتفع شأنها بين اهلها وصارت عزيزة في قومها محترمة الكلمة وامتدحها القوم وحفظ لها التاريخ اثراً خالداً في النفوس . غير اننا اذا القينا

اللوم على المرأة كنا لها ظالمين لانه مذ افل نجم عزها وانقضت ايام سعدها سجنت في قاع بيتها لا تتمتع بضوء الشمس كانها لم تخلق الا لتكون امة فلا يمكنها ان تستنشق الهواء التي كبقية المخلوقات خشية ان يراها احد الاقرباء فيسلبها من زوجها المسكين الذي لم يجد له نصيراً يأخذ بيده ويخلصها من مغتصبها ولذلك قضت الظروف بان تبقى كل حياتها معذبة الى ان تنتقل الى رمسها حيث تستمر في المقر الذي ليس لها منه مفر . غير انه مذ بزغت شمس الحرية في سماء البلاد المصرية لم يبق لعشاق الفضيلة وحبي الاصلاح عذراً في السعي ورآء ترقيتها ورفع هذا الحجاب الكثيف الذي حال بينها وبين التعليم الحقيقي لا الوهمي . قامت المرأة في هذه الايام تطالب الانفكاك من هذا الاسر ولكنها سارت في طريقها تتخبط وليس من ينصفها ويأخذ بيدها لان الرجل ينظر اليها كاحقر مخلوق فارتكانها عليه في ترقية مداركها وهو يريد ان تبقى على حالها ليس من الصواب والواجب عليها ان تنهض عاملة مطالبة بحقوقها بنفسها كما نهضت نساء الروس مطالبات

المرأة في بلاد الروس اليوم

وها صورة العريضة التي رفعتها النساء المسلمات في دور تبورغ الى مجلس الدوما (نواب الروس)

« ان ديننا يأمر بتحريرنا ويعلن حقنا في الحرية ولكن ازواجنا ظالمون جهلاء ما زالوا يعاملوننا بالجور ويضطروننا الى الخضوع لما يناله من طفرة الميل

« ان ديننا الاسلامي يسمح للمرأة بأن تدرس العلوم وتسافر وتقوم

بفريضة الحج وتؤدي الواجب الديني ويأذن لها في الاتجار ومعالجة المرضى في المستشفيات والجرحى في اوقات الحروب والادلة التاريخية كثيرة في هذا الموضوع في بلاد العرب وبقية البلدان المسلمة . فان المرأة كانت تؤسس الشركات وتشيد الجوامع وتشترك في اعمال خيرية جمة . بل كان بين النساء عدد من المؤلفات والشاعرات والكاتبات المشهورات . ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تصحب زوجها في الحروب وعرفت بعض لغات الاجانب. اما اليوم فان رجالنا لا يكتفون بحرماننا من كل تثقيف عقلي بل هم يحرموننا ايضاً من درس ديانتنا ومطالعة الكتب المقدسة ويسيرون على نهج واحد مع بعض الصحافيين في الاعتراض على كل سعي نسعاه في سبيل العلم لانهم يريدون ان يبقونا غارقين في لجة الجهل ظناً منهم ان الجهل يسهل عليهم ظلمنا والتحكم بنا . وبينما نكون نحن اسيرات مسجونات في منازلهم يذهب ازواجنا يفتشون عن حبيبات ويتزوجون مراراً وتكراراً . وعلى هذا النمط نعيش تحت نير الظلم الثقيل . وكثيراً ما يكون الحزن والقنوط سبباً في اصابتنا بمرض السل الذي يقصف اغصان حياتنا قبل الاوان .

« ان الشريعة الاسلامية التي منحتنا الحرية في كثير من الشؤون توجب على الرجل ان ينظر الى المرأة بعين العفة والاستقامة والاحترام ولكن الرجال يخالفون الشريعة في الغالب ويتجاوزون حدود الادب في الردهات والفنادق والقهوات التي يقتلون فيها الوقت فتراهم يجالسون نساء في اشد الانحطاط حتى اننا نستحي من ذكرهن .

« ولذلك كله نحن الموقعات على هذه العريضة نصرح بعد الدرس والتفكير وبناء على ما نعرفه من الشريعة الغراء انه يحق لنا كما يحق لرجالنا ان نكون من جملة بني البشر

« فيا ايها النواب المسلمون في الدومنا ان شريعة الله توجب عليكم ان تطالبوا بحقوق المرأة والواجب يقضي بأن تضعوا قانوناً يحميها من كل رجل ظالم وحشي الذي يسيء معاملتها ويصب عليها العذاب . فنحن والدات الشعب وصديقات الرجال . وتربية الامة ونجاحها منوطان بنا . فليعلم الرجال المسلمون هذا : انهم اذا استمروا على سوء معاملتنا سقطوا هم في اقرب الاوقات الى حضيض الاستعباد وجر الخراب التام اذياله على جميع شعبهم »

هذا ما تطلبه نساء المسلمين في بلاد الروس من نوابهن حتى ينادوا معلنين بان ما يأتيه الرجال من الاعمال المغايرة للدين والادب يجب ان يتجنبوه حتى ترتقي شؤون المرأة التي هي مديرة دفة النظام العائلي . ولكن بينما نراها في البلاد القاصية تطلب حقوقها بشدة نجدها في بلادنا لا تحرك ساكناً بل مرتكنة على من يقوم مطالباً بترقية شؤونها . فيا بنات مصر نناشدكن بالاخاء ان ترفعن عقيدتكن مطالبات بحقوقكن لانكن ان لم ترقين شؤونكن بانفسكن فلا تنتظرن من يأخذ بناصركن ويعمل على رفع مقامكن . نسأل الله ان يوفكن الى ما فيه صالحكن .

المرأة المصرية يدافع عن حقوقها مصري و يشرح حالها في بلاد الانجليز

ولقد دعي حضرة الفاضل عطيه افندي وهبي وهو في اوروبا لالقاء خطبة في الاجتماع الذي عقدته جمعية المطالبة بحقوق المرأة في ٣ سبتمبر

« اما في الوقت الحاضر فالمرأة المصرية محرومة من كل حقوقها فهي طريدة الاجتماعات سجينة في البيت لها عيناك لا تبصران وفؤاد يعي ولكن لا يسمع له نداء وقد حرمت من التربية الصحيحة فلا قبل لها على تهذيب اولادها وتأدية وظيفتها في منزلها وانما هي اصبحت مجرد آلة يستعملها ذلك الرجل القاسي في قضاء ما يريد ومما يحزن ويبكي ان السنين تمر تلو السنين فلا هي تطالب بحقوقها ولا هو يشفق عليها ويهتم باصلاح حالها

« واذكر مع الاسف ان المرحوم قاسم بك امين قام من عهد ليس ببعيد وطلب كشف النقاب عن ذلك المحيا الجميل وتهذيب شريكة الحيوة المصرية فقامت عليه قيامة الجهلاء ورموه بكل انواع الكفر والبهتان (استغراب)

« أليس من الغريب ان تهمل تربية المرأة ويطالب رجال مصر بحق النيابة عن الامة فقد قام الاقباط في هذه الايام يطالبون بالمساواة في وظائف حكومة البلاد وقام غيرهم من المصريين يطالبون بمجلس نواب اسوة بالبلاد المتمدنة

« ولا شك أن هذه المطالب عنوان التقدم والارتقاء والتمتع بحيوة راضية واطمئنان لم يرَه اهالي البلاد قبل الان. واني مع احترامي لتلك المطالب والاميال لا اخشى ان اقول ان تربية المرأة المصرية وتحريرها اولى بهذا الاهتمام

« انا في حاجة الى مقام جميل تشرق فيه شمس المرأة المهذبة فلا يسع

لنا ان نهمل هذا الامر ونسعى الى غيره فعلينا ان نبدأ بتمزيق ذلك الحجاب (استحسان) ونعلم المرأة ونفسح لها مجالاً في اجتماعاتنا وفي اعتقادي ان هذه الطريقة الوحيدة لإصلاح حالنا وترقية شؤوننا — انا لو عملنا ذلك لامكننا ان نهيء للمستقبل رجالاً اكفاء لادارة البلاد للقيام باعباء مجلس النواب حق القيام (تصفيق)

« ومما يلاحظ في هذا المقام ان الاقباط مع علمهم بمبادىء الديانة المسيحية وتعاليمها لم يخطوا خطوة الى الامام في هذا السبيل وقد صدق عليهم قول الاورد كرومر: « ان الديانة المسيحية عند الاقباط بقيت محافظة على القديم وان القبطي بقي كذلك واقفاً لا يتحرك الى الامام » على ان الحركة التي بدت من الاقباط في السنين الاخيرة تبشر بالنجاح وتدعو الى الامل في مستقبل الايام

« وقصارى القول اني ممن يعتقدون ان لا أمل في الارتقاء الحقيقي لمصر المحبوبة بلا تربية المرأة وتحريرها فهذه هي الأمنية التي يجب ان تتجه الى تحقيقها اميال كل المصريين من مسلمين واقباط على حد سواء فعسى ان يعود كوكب المرأة المصرية القديمة فيتألق في سماء مصر في مستقبل الايام. (تصفيق واستحسان كثيران). انتهى. هذا ما قاله حضرة الخطيب عن المرأة المصرية في بلاد الانجليز.

المرأة وترقيتها

ومما قاله حضرة الاصولي الفاضل اخنوخ افندي فانوس في قصيدته العصرية:

فليس امة رقت مراقيا الا بأمات لها رواقيا